

أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى عليه الفوت»^(١).

ودخل الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه ديناه وأفسد عليك آخرتك، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها^(٢).

* * *

رابعاً: المساواة فى حق المشاركة والانتفاع بما سخر الله فى الكون:

إن مفهوم التسخير الإلهى كما يتضح فى المنظور الإسلامى يوجب المساواة والمشاركة بين الناس جميعاً فى التمكين من الانتفاع بمنافع الكون، وفى توفير القدر اللازم لاستمرار حياة الإنسان، وقد ورد ذلك فى آيات كثيرة من الكتاب الحكيم، ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: الآية: ٢٩]، والآية فيها أكثر من دلالة على العموم، عموم النفع لعموم الجماعة الإنسانية، فالضمير فى «لَكُمْ»، والاسم الموصول

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٨٣١)، والإصابة لابن حجر (٧/٦٢٠).

(٢) صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم/ باب ذكر كذاب ثقيف

ومبيرا ٧/١٩٠)، رقم: ٢٥٤٥.

«مَا» و«جَمِيعًا» فيها دلالات العموم. و«جَمِيعًا» في مكانها من سياق الجملة يَصِحُّ أن تكون تأكيداً على العموم الذي أفاده الاسم الموصول، ويصح أن تكون تأكيداً على الضمير في «لَكُمْ» فيكون التأويل حينئذ إما: هو الذي خلق لكم جميعاً ما في الأرض. أو: هو الذي خلق لكم جميع ما في الأرض.

والاشتراك بين الناس جميعاً في أحقية الانتفاع بضروريات الحياة وأوجبه الشريعة الإسلامية من منطلق المساواة في الإنسانية، ولذلك فيجب على المسلم أن يتعاون مع غيره في القيام بواجبات المحافظة على البيئة ورعايتها، كما اشتركا في حقوق الانتفاع بخيراتها، ولكن المسلم يتحمل واجبا أكبر من غيره، حيث ألزمته الشريعة تحمل واجب الدعوة إلى المنهج السوي والدين القويم، والذي يمثل الشق الآخر من عملية الإعمار.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (سورة الأعراف)، والآية الكريمة جمعت كل مفردات الوجود المشهود، الإنسان والمكان والزمان وأصول الحياة والجمال.

فكلمة «ولكم» معناها: لجميعكم وتفيد عموم الإنسان.

و«في الأرض» أي: جميع الأرض وتفيد عموم المكان.

و«مستقر» أي: موضع استقرار وأمان تتوفر فيه الضروريات الحياتية، المادية من غذاء ومنتفس وحركة، والمعنوية من احترام وتكريم وحرية وعدل.

و«ومتاع» أي: موضع تتحقق فيه جماليات وتحسينيات تُوفِّر للإنسان الراحة والمتعة في إقامته على الأرض.

و«إلى حين» أى: إلى انقطاع الدنيا، وتفيد امتداد الزمان. والآية وإن جاءت فى صيغة خبرية، ولكنها تنبئ الإنسان بمفهوم يترتب على استقراره فى عقيدته عدة أوامر شرعية، تتعلق بمهمته فى إعمار الكون وخلافته فيه بالحق الإلهى، فمن ذلك تشير إلى أحقية بنى آدم جميعا فى الانتفاع بما فى الأرض جميعها بما يوفر لكل فرد منهم الأمن والاستقرار والتمتع بجماليات الكون المسخر، وأن يستمر هذا الانتفاع طيلة بقائه فى الدنيا، وأنه هناك مقدار أولى يشترك فيه جميع الناس بقدر متساو، وبناء على ذلك فلا يحق لإنسان أن يحتكر حق غيره فى الحياة والوجود بأن يستحوذ على القدر الذى يمكنه من العيش آمنا حرا كريما عنده من يكفيه من المأكل والملبس والسكن وبقية الضروريات والجماليات الأساسية.

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [سورة فصلت]، والشاهد فى الآية قوله ﴿سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾، فكلمة «سواء» تشير إلى معانى المساواة والمشاركة، فالله سبحانه وتعالى قدر فى الأرض الأقوات والأرزاق للناس جميعا، بمعنى أنها لن تضيق بهم، ولن تعجز يوما عن كفايتهم الغذائية، ولن تعطى سائلا وتمنع آخر، بل ستستجيب للجميع على السواء، وذلك لأنه لم تتعلق مشيئة الله أن تكون الأرزاق حكراً على جنس دون آخر أو دولة بين فئة وجماعة دون أخرى، بل جعلها سواء للسائلين.

ولم يجعل الله عطاءه فى الكون مرتبطاً بالاختيارات العبادية للإنسان، فالكون يعطى الإنسان بصفته إنسانا مخلوقا لله، يعطيه على

قدر جهده وعلمه ، وعلى قدر موافقته لسنن الكون وقوانين تسخيره ، وليس الأمر مرتبطا بإيمان أو كفر؛ لأن الله تبارك وتعالى أراد من الإنسان أن يأتيه طوعا مختارا محبا ، ولو شاء سبحانه أن يعنته لفعل ، أو يجبره لجراء كما جاءت غيره من الكائنات ولم يتخلف ، ولكيلا تكون الحاجة إلى الطعام والشراب أو طلب الأمن دافعا مرغما على الإيمان جعلها الله سواء بين من آمن به ومن كفر ، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة التغابن).

٤ - وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٢٦] ، قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس ، فأنزل الله (وَمَنْ كَفَرَ) أيضا أرزقهم كما أرزق المؤمنين ، أخلق خلقا لا أرزقهم ، أمتعتهم قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. ثم قرأ ابن عباس ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (١) [سورة الإسراء].

٥ - وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة هود).

٦ - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (سورة طه) ، وفيه تقرير حق الإنسان في الطعام والشراب والسكن. فهي ضروريات ينبغي توفيرها لكل إنسان لا يحرم منها أحد.

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٣٦).

٧ - وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْبِغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الجاثية]، والشاهد فيها ضمير المخاطب في «لَكُمْ» فهو للإنسان، وليست رسالة القرآن قاصرة على المؤمنين. وقد دلت آيات كثيرة على أنه سبحانه قد سخر الكائنات لمطلق الإنسان.

* * *

خامساً: المساواة في حق التعبير عن الرأي:

لقد حفظ الإسلام للإنسان حقه في التعبير عن آرائه ومعتقداته، ولكنه جعل لهذا الحق ضوابط ومعايير، فيجب عليه إن تعلق رأيه بآخرين أن يكون صادقا فلا يكذب عليهم أو يزور، وكذلك لا يحق له أن يسبهم أو يقذفهم بالتهمة التي لا بينة عليها، وعلى كل حال يجب عليه أن يحترم عقائد الآخرين وأفكارهم ومشاعرهم كما احترموها هم حقه في التعبير.

وحق الإنسان في التعبير هو جزء من الحريات العامة في الدولة الإسلامية، وهو حق من حقوق الإنسان الطبيعية والتي يتساوى الجميع في نوالها. وبناء على ذلك وجب تنظيم هذه الحرية حتى يأخذ كل فرد في المجتمع منها نصيبه ولا يعتدى على نصيب غيره، ولا يحتكر إنسان سلطة التعبير ويحرم منها الآخرين، أو يعتدى في تعبيره على خصوصية الآخرين وحريرتهم في الاختيار والتوجه.